

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# حضارة الاسلام

مجلة فكرية جامعة

---

أيلول - تشرين أول	المسددان الخامس - السادس	رجب - شعبان
١٩٦٩	السنة العاشرة	١٣٨٩

---

## نصيحة لا بد منها...

يغالبنني على القول كلام ما احسبه تاركي حتى ياخذ من كبدي ما يشاء  
ذلكم هو حديث تلك الجال من الضياع الذي تعانينه امتنا صورة عن هول المطارق  
التي تبقى بهولها العقول والقلوب صباح مساء .

وليس من مكرور القول ان نذكر بان من الاغراض التي يرمي اليها اصحاء  
الامة بكثير من المنهجية والتدبير ، ان تظل هذه الامة في دوامة من النصب  
والتصب لا تنتهي كيما يخرج بها ذلك عن دائرة البناء في ظل الرسالة التي اكرمها  
الله بنظامها فكانت به خير امة اخرجت للناس .

ولو أنك تجاوزت ما تعانيه الأمة اليوم مع (( يهود )) وما ترى العين وتسمع الأذن من آثار شاهدة على الأذى والاصرار على العدوان والسلب والاعتصاب بمعاونة الطوافين حول الارض والصاعدين الى القمر... لو أنك تجاوزت ذلك الى أي بقعة من وطننا الكبير لوجدت على كل أرض من تلك البقعة ما يراد به الضياع ، وما يراد منه أن تكون الأمة على حال من الحيرة بين (عود على بدء وبدء على عود) ، وخذ لذلك من المترادفات ما شاء لك الفكر ووسعتك الحقيقة بله الخيال ...

★ ★ ★

هذه حقيقة ماثلة لا ينكرها الا مكابر ولا يتجاهلها الا من كان بينه وبينه وبين النعمة نسب متصل أو تقى الاتصال ... ولسنا نبغي من وراء ذلك ان يكون الكلام معوانا على التشاؤم أو اليأس ، فاليأس من روح الله لا يلتقي مع الايمان بنصره وتأنيده اذا نحن سلطنا للغاية سبيلها ، وللنصر طريقه التي رسمها الاسلام .

ولكن الذي نبغيه ان أي امة من الامم اذا ضاعت عليها المعالم وتمثرت في طريقها أو تعثر بها الطريق، إن من العجب العجائب ان تحيط بنا نحن الغفلة وتنطلي علينا الحيلة، ونقع في شرك الاستجداء ، فنحن أمة - والله الحمد والمث - أكرمها الله بالاسلام فكانت مبادئنا قرآنا يتلى في المحارب، ودروسا تلقى على منابر العلم، وحركة حضارية تضع الانسان بطاقاته وأهليته وتكوينه في مكانه الطبيعي من البناء فاني تلفت اهتدى بمعالم هذا الاسلام فلا يضل الطريق ولا يشقى على مسبى الايام .

★ ★ ★

وإذا كنا ننتظر من أعدائنا ان يسقطونا من حسابهم ، ويدعوننا وشائنا ، نستمتع بالحياة ، ونسير في طريق البناء ، فهذه أحلام لا طائل تحتها

هي أشبه بوساوس الذي يريد أن يجني من الشوك العنب . إنك لو سميت الثعلب بالف اسمواسم، وزخرفت ولوتت، فلن يكون في تعامله ومخططاته إلا الثعلب ، إذ ان كل الذي صنعه من الزخرف لن يغير من حقيقته شيئاً .

واذن فالذي يجب أن يأخذ مكانه الطبيعي من اهتمامنا - مع القضايا الراهنة التي تفرض نفسها على الأمة - انما هو التفتيش عن ذاتنا وكياننا ، وهويتنا بين أمم الارض ، على اساس من المنهجية المثمرة التي تصع في حسابها كل عنصر من مقومات هذه الأمة ومنابع حياتها وامجادها في تاريخ بني الانسان . ولن يكون ذلك الا في ظل الاسلام كما جاءت به منابعه الاولى في كتاب الله وبيان رسول الله وفهوم أئمة الهدى من علمائنا الاولين .

وهذا الذي يمكن ان ندعوه تحديد الموقف الذاتي كان من اوليات المسائل التي جاءت بها دعوتنا الطاهرة المجيدة ، ومن الكليات الاولى التي على هداها قام البناء ، وثبت اصل الشجرة ، التي فاء الى ظلها التاريخ « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

\* \* \*

فمن أول الطريق في العهد المكي حيث ابتلاء المؤمنين يدر قرنه هنا وهناك وسدنة الوثنية يحاولون بشراسة أن يحولوا دون بزوغ الفجر الجديد ، والمساومات تلقي بثقلها على ارض الموحدين . . من أول الطريق يومذاك نزل قوله تعالى : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . . . »

وبعد فتح مكة حيث فرح المؤمنون بنصر الله، وأزيح من حول الكعبة ظلام الاوثان وعبدة الاوثان . . بعد فتح مكة ينقض المشركون عهدا كان بينهم وبين المسلمين فينزل قول الله تعالى :

« براءة من الله ورسوله الى الذين اعاهدتم من المشركين فسيحوا في

الأرض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله . . . » .

فكانت البراءة خاصة باولئك الذين عاهدوا ونقضوا العهد ، ولكنك لانكاد تنتهي من قراءة الآية الأولى حتى تطلعتك الآية الثانية بحكم عام يقول فيه الواحد القهار : « واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » .

ولعلك لاتجد نصيباً في أن تعمل فكرك للربط بين نزول سورة «الكافرون» ايسام الخطوة الأولى في العهد المكي حيث الشدة والبلاء وتهديد القلة المؤمنة بالفناء ، وبين نزول فواتح سورة التوبة بعد أن ارتفعت راية التوحيد على ربي مكة وعلا هدير الكلمة المسلمة في تلك الربوع والاصقاع .

ومن هنا كنت ترى أن الخطاب القرآني للجماعة المسلمة لايهدان ولايتهاون في شيء من حرارة التذكير بالقاعدة التي لايجوز المساومة عليها او التفاوض عن ساجتها ومدلولها ، لان بها حفظ كيان الأمة ، وسلامة طريقها الى الغاية، والحيولة بينها وبين أن يصيب الأعداء منها مقتلاً ، أو يوقعوها في شرك الغفلة ، ومصائد شياطين الإنس والجن . « يا ايها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم من ليبطنن فان اصابتمك مصيبة قال قد انعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيماً . فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يفلب فسوف نؤتيه اجرا عظيماً . ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لذكولياً واجعل لنا من لعدك نصيراً . الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطغفوت هقاتلوا اولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا » .

ما احسب ان عاقلا يرى هذا الوضوح في الخطاب ، وحرارة الالفاء في روح المؤمنين وقلوبهم ، وربط كل جزئية بالكلية العامة التي هي المحور الأولي ، ثم يخالجه شك في ان طريق الامة الى الخروج من ظلام دوامتها في وطننا الكبير انما يكون بالعودة الصادقة الى المنطلق الذاتي لها والذي يرتد الى قاعدة البناء التي جاء بها هذا الخطاب القرآني .

والكشف عن نقاط الضعف في الصفوف يهتك أستار المنافقين ولا كرامة ، لان الطريق في اشواكها وبعد مراحلها ، وعزة غايتها لا تحتل مهادنة ولا مهاودة . (( ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فما لهؤلاء القوم . لا يكادون يفقهون حديثاً )) .

ان الوقائع بحرارتها وعنفوانها ، ولؤم الايدي التي تحركها جديرة ان تلفتنا عن طريق الضياع ، لنبصر معالم طريقنا التي دعانا محمد بن عبدالله صلى الله وسلم عليه ان ننتهي اليها ، والليالي حبالى بالحوادث ، وفي كل صباح يطلع عليك نبأ جديد .

★ \* \*

واذا انتهينا الى تلك المعالم ووقفنا حيث ينبغي ان تقف الامة التي تدرك اصلتها وذاتها ، كان من بسط النتائج اعطاء الحكم الصحيح في كل جزئية تعرض ، وذلك بردها الى اصلها الذي خرجت منه ، وعند البحث ترتد اليه .

لأننا ننظر بمنظارتنا نحن ، لا بمنظار يوضع على أعيننا ويراد منا أن نبصر من خلاله . فموقفنا من يهود وموقفهم منا ، لا يحتاج الى ايضاح أو تبیین . ان حريق المسجد الأقصى - على سبيل المثال - تلك الجريمة التي لا يدرك هولها الا من كانوا من بني الانسان بالمعنى الصحيح ، هذا الحريق نتيجة طبيعية لوجود الأقصى تحت سلطانهم وفي ظل أنظمتهم وقوانينهم ، فما الذي أنت ناظره من هؤلاء حين يكون الأقصى تحت سلطانهم ؟؟ خصوصا اذا تذكرت انهم الآن يحاولون من خلال عقدة أصبحت مرضا موروثا على الاجيال إثبات ان من واجبهم اعادة بناء هيكل سليمان الذي يزعمون وجوده تحت المسجد الأقصى ، وان المسلمين غاصبون للأرض التي عليها الهيكل ، انهم يريدون ان ينتقموا من الايام الطويلة خلال عشرات القرون - ومن التاريخ الاسلامي بخاصة - في كيان اصحاب الأرض التي يحتلونها والمسجد الذي كان اليه مسرى سيد العالمين محمد صلوات الله عليه .

★ ★ ★

لقد يكون مفيدا أن نثير العالم ونفتح الاعين المغلقة على هذه الجريمة ، ولكن احتلال المسجد في الاصل أشنع منها وابشع ، ويمارس اليهود تحت سقف هذا المسجد الذي هو ثالث الحرم ، والذي تعدل الصلاة فيه خمسمائة صلاة في غيره . . . يمارس اليهود أشنع انواع الأذى والخلاعة والميوعة وما هو من أخلاق الخنازير ، واصبح ذلك امرا مشهورا ومعروفا . ان حريق جدران المسجد ليس الحريق الوحيد ولكنه واحد من ألوان الحريق التي تصيب مسجدا وأرضا كل يوم .

ومن جهة ثانية فان جلاء الحقيقة المرة والكشف عن جوانبها لايهابه الا ضعفاء النفوس . فاي تقدير حقيقي كنا نمنحه لهذا المسجد من قبل ، وهم كان عدد المصلين الذين يؤمنونه في الصلوات الخمس ؟؟ ما أحسب ان الجواب

مرض عن هذا التساؤل . بل قد يدخل بعض من لا خلاق لهم على غير وضوء لحاجة تتعلق بمصالحهم الخاصة لا بمرضاة الله عز وجل .

وكأين من مسلم في أقطار العالم الاسلامي لا يدري ما هو السبب في قداسة هذا المسجد ، وأنه ثالث الحرم ، وان الحديث الصحيح قد اثبت ان الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة ، وان الهمية البالغة وراء هذا كونه المسجد الذي اختاره الله لرحلة الاسراء من المسجد الحرام اليه فالقضية لا تترد الى التاريخ فحسب ولكنها مرتبطة بالعقيدة قبل كل شيء .

ان القيمة الدعائية لوضوع ما في ميادين أخرى غير مياديننا انما تؤتي أكلها اذا نحن حرصنا على أن نكون على ارض المعرفة والايمان والادراك للقضية التي نتحدث عنها بالإيجاب أو السلب . وان النصيحة لله ولرسوله وللأمة تقتضينا ، والحرمات تستباح ، والمقدسات تنتهك ، والاصرار على العدوان والتشريد والاعتصاب قائم من العدو وممن هم وراء العدو أقول : إن النصيحة تقتضينا ان لا نفعل الجانب الاساسي من جوانب قضية من قضاياها فنمارس ما يشبه إحراق القيم ، وهذا كما قلت من أبسط النتائج التي تشرها النظرة الذاتية الاصيلية ، والتحول عن طريق الضياع .

ان للإسلام كلمة قالها قبل اربعة عشر قرنا في (( يهود )) ولقد سجل القرآن ذلك بآيات تتلى حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وبينت جوانبه واوضحت معالمه السيرة النبوية بما لا يدع زيادة لمستزيد . والاسلام يدعونا لأن نفتح قلوبنا وأعيننا على ذلك ، وان نغذ السير الى حيث المرتقى الصعب والفاية البعيدة غير عابئين بما يوجب ذلك من تضحيات وبذل ، فالله لا يضيع عمل عامل ، ولا ينسى عنده مثقال ذرة ، والا نكون القينا بيدنا الى التهلكة وقد نهانا سبحانه عن ذلك بقوله : (( وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين )) .

ان الاسلام المنقذ القادر على تحويل العواطف الى أعمال يطالبنا اليوم  
بالوفاء .

فالمسلمون اليوم : فريق يعرض عن الاسلام ، وفريق يحمله للدعاية  
والاستغلال ، ويجارب الفئة الثالثة .

والحق أن عودة صادقة ذاتية الى الاسلام على أساس منهجي سليم بعبء  
الاعراض القريبة التي قد تعقد لها المؤتمرات الرسمية وتجمع لها الجمهور هي  
الكفيلة بأن تسلك بنا سبيل الاعداد الصادق بكل مجالاته ومفهوماته ، لا ننتصر على  
يهود وغيرهم فحسب ، بل لناخذ دورنا الحضاري البناء من جديد . ذاكرين  
دائما قول الله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »  
« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في  
سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » .

محمد صالح